اليسوعيّون ومجلّة «المشرق»
تاريخ وأعلام
(١٨٩٨ - ١٩٧٠)

الأبُ كميل حشيمه اليسوعيّ

١ - الإرهاصات

كتب الأب لويس شيخو في مقال نشرته مجلّة المشرق في مطلع كانون الأوّل سنة ١٩٢٧ وبعنوان «عمل المشرق في ربع قرن»، ما حرفه:

«كان أوّل ما فكّرتِ الرسالةُ اليسوعيّة في إنشاء مجلّة عربيّة تضاف إلى جريدة البشير، في أواخر السنة ١٨٩٦، فقدّمْنا طلبًا رسميًّا إلى المراجع العليا في الآستانة عن يد والي بيروت نصوحي بك الذي تلطّف وأيّد طلبنا لدى دائرة المعارف في العاصمة.

«إلاّ أنّ هذا الطلب بقي مدّةً دون جواب. ولا عجب إذ كانت الدولة وقتئذٍ في عزّ استبدادها، والسلطان عبد الحميد يأنف من تعزيز الجرائد والمجلاّت، لا سيّما أن كانت في إدارة مَن يتمتّع ببعض الإنعامات والمعافيات الدوليّة.

«على أنّنا لم نقطع الرجاء من التماس الرخصة المطلوبة، فعدنا إلى مراجعة ذوي الحلّ والربط، وساعَدَنا في ذلك بعضُ الأصدقاء من أدباء الآستانة من ذوي النفوذ (...) وكان أحد قدماء تلامذة كلّيّتنا المرحوم شكري باحوط ساعيًا في الأمر لدى بعض وجوه الدولة (...).

«فاتت هذه المساعي أخيرًا بنتيجتها المرغوبة في أواسط السنة ١٨٩٧ إذ أرسلتْ لنا المعارفُ رقيمًا رسميًّا تمنح فيه الرخصة بنشر مجلّة علميّة أدبيّة فنّيّة تحت اسم ومسئوليّة كاتب هذه الأسطر»[١].

لدى قراءة هذا البيان المقتضب تتّضح لنا عدّة أمور، من أهمّها تاريخ بدء الإعداد لإصدار المشرق، وتعيين مديرها، والخطّة المرسومة للمجلّة بحيث تكون علميّة أدبيّة فنّيّة.

إلاّ أنّه لا بد هنا من تصحيح غلطٍ وقع فيه شيخو سهوًا لدى تحديده بداية معاملات الرخصة. فإنّه كتب في الخامس من حزيران ١٨٩٦ إلى صديقه العلاّمة الأب أنستاس ماري الكرمليّ ما تعريبه: «لم نَنَلْ اليوم الإذن بإصدار مجلّتنا المشرق، وقيل لنا منذ شهرين إنّه لم يتبقَّ إلاّ بعض الإجراءات والمعاملات»[٢]. فيبدو من هذا الكلام أنّ تفكير اليسوعيّين في إصدار المشرق لم يكن في أواخر ١٨٩٦، بل قبل ذلك بأكثر من ثمانية أشهر. لا بل إنّهم باشروا في السعي إلى نيل رخصة المجلّة عدّةَ سنوات قبل ذاك التاريخ، على ما جاء في رسالة وجّهها يوم ٢١ حزيران ١٨٩٧ رئيس رهبانيتهم آنذاك في بلاد الشام، الأب پيار رُولُو، قال فيها ما تعريبه: «بعد أربع سنوات من الإلحاح لدى السلطان، حصلنا منذ وقت يسير على الإذن بإصدار مجلّة يكون هدفها الأساسيّ الدفاع عن الكنيسة المقدّسة»[٣].

تبلورت إذن فكرة إنشاء المشرق حوالى سنة ١٨٩٢، إن لم يكن قبل ذلك التاريخ.

---

(١) المشرق ٢٥ (١٩٢٧)، ص ٩٢٦. ـ زدنا الفواصل على نصّ شيخو.

(٢) «L'autorisation pour notre revue de l'*Orient* n'est pas encore accordée. Il y a deux mois on nous a dit qu'il n'y avait plus que quelques formalités à remplir» (*Archives des Jésuites*, Beyrouth, Dossiers Cheikho).

(٣) «Après quatre ans d'insistance auprès du Sultan, nous venons d'obtenir l'autorisation de publier une revue dont le but essentiel sera de défendre la Sainte Eglise.» Sébastien Ronzevalle, *L'Imprimerie Catholique de Beyrouth et son œuvre en Orient*, Beyrouth, 1903, p. 116

٢ ـ البدايات: شيخو (١٨٩٨ ـ ١٩٢٧)

أمّا تحقيق المشروع، فقد أوكل إلى الأب لويس شيخو. وكان هذا الراهب إذ ذاك دون الأربعين من عمره ـ إذ وُلد عام ١٨٥٧ ـ، وله من الشهرة في عالم اللغة العربيّة وآدابها قسطٌ وافر. فقد سبق وأصدر في ميدان الكتب الأدبيّة نحو خمسة عشر مصنّفًا، بدءًا بسلسلة «مجاني الأدب في حدائق العرب» التي شرع في طبعها عام ١٨٨٢ ببيروت ومجموع مجلّداتها تسعة بين نصوص وشروح. ومن مؤلّفاته الأدبيّة، على سبيل المثال لا الحصر: الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية (بيروت، ١٨٨٧)، أنيس الجلساء في ديوان الخنساء (بيروت، ١٨٨٨)، شعراء النصرانيّة قبل الإسلام، في ستّة أجزاء جمعت ٩٣٢ صفحة (بيروت، ١٩٩٠). كما أصدر في باب اللغة مجموعة من الكتب النفيسة كمثل كتاب فقه اللغة للثعالبيّ وقد حقّقه ونشره في بيروت عام ١٨٨٥، وكتاب نزهة الطرف في مختصر الصرف (بيروت، ١٨٨٥)، وكتاب علم الأدب في أربعة أجزاء (بيروت، ١٨٨٦ ـ ١٨٨٧)، وسواها كثير. هذا فضلاً عن إصداره كتبًا أخرى دينيّة ومقالات وأبحاث أدبيّة وتاريخيّة نشرها في مجلّات اليسوعيّين بأوروبّا.

شمّر الأب شيخو عن ساعديْه وأجرى الاتّصالات بالكتّاب في بيروت، محلّ إقامته، وخارجها، وسرعان ما ظهرت المجلّة، بعددها الأوّل، في مطلع سنة ١٨٩٨. وتصدّرتها مقدّمة دبّجها مديرها وصاحب امتيازها بأسلوب منمّق، فيه من الجزالة والفخامة وبعض المقاطع المسجّعة ما يليق بخطورة المناسبة. وأوجز شيخو بمقتضب العبارة أهداف الصحيفة وشعارها والغاية من اسمها.

أمّا الهدف المنشود، فهو «وضع المقالات التي رأيناها أنسب لفائدة العموم وأوقع لديهم مع تهيئة عدّة فقرات ونُبذ جامعة لشذور آداب الدنيا والدين ومصنّفات تاريخيّة وفنّيّة ولغويّة وطبيعيّة وغير ذلك من المعارف لم نستثنِ منها سوى السياسيّة ومتعلّقاتها». ولئن وسّع أصحاب المشرق نطاق مجلّتهم إلى هذا الحدّ، فلأنّهم أرادوا في الواقع أن يضاهوا، لا بل يفوقوا، سائر المجلّات التي

كثُرت في تلك الأيّام ولم تنهج النهج الذي كانوا هم يتفونه لا سيّما في الأمور التي تمتّ إلى الدين وإلى علاقاته بالعلم وشؤون العصر.

وأمّا الشعار المرسوم، فبيّنه شيخو بما يلي: «قد اتّخذنا لنا شعارًا قوله تعالى في رسالة يوحنّا الأولى (ف ١: ٥):

«إنّ الله نور وليس فيه ظلمة البتّة» إشارةً إلى أنّه عزّ وجلّ هو مصدر العلوم والمعارف وأنّ كلّ علم لا يستمدّ منه ولا يعود إليه إنّما هو ضلال بحت».

وعن تسمية المجلّة بالمشرق فقد جاء في المقدّمة: «إنّ اسم مجلّتنا الجديدة ينطق بنفسه عن غايتنا ويقوم مقام لائحة مطوّلة، إذ آثرنا باختياره أن نبيّن لأهل الوطن أنّ جلّ مرغوبنا التحرّي لكلّ الأبحاث المتعلّقة بالشرق والطوائف الشرقيّة ونفضّلها على سواها لئلا يُقال إنّ الغريب أدرى بما في البيت من أهله، لا سيّما ولا نزال نرى كثيرين من الأجانب يعكفون على تتبّع أخبار بلادنا واستبطان أحوالها».

وقد أضاف شيخو إلى هذه الإيضاحات رغبته في رفد المجلّة بما يأتي به الغربيّون من شريف الأعمال ويبتكرونه من الاختراعات والاكتشافات في سائر الفنون ليكون أهل الشرق على بيّنة من أمورهم وتتوفّر عندهم على مشالهم أسباب العمران والتقدّم.

هذه الأهداف التي وضعها شيخو نصب عينيه، لم يحد عنها طوال الأعوام الخمسة والعشرين التي أشرف فيها على حياة المشرق، من بدء سنة ١٨٩٨ حتّى آخر عام ١٩٢٧ ـ مع انقطاع خمس سنوات بسبب الحرب العالميّة الأولى ـ. فقد سعى جهده لخدمة الشرق ورفع مستواه دينًا وعلمًا وأدبًا، يدافع عن الدين والحقّ دون هوادة، ويقدّم للعامّة والخاصّة، بقلمه وأقلام سواه، أجود المقالات في سائر المجالات.

وممّا لا شكّ فيه أنّ مشروع شيخو قُيّض له النجاح إلى أبعد الحدود، ومنذ بداية الطريق. فما إن صدرت أعداد المجلّة الأوائل حتّى هلّل لها المثقّفون، والأدباء الشرقيّون والمستشرقون، وكتب العلاّمة المستعرب الإيطاليّ كارلو ألفونسو نلّينو إلى شيخو يهنّئه قال: «إنّي أتتبّع ببالغ الارتياح اطّراد تقدّم

مشرقكم، وهي منذ اليوم أحد أقوى مراكز الثقافة في الشرق العربيّ»[1].

وسرعان ما تهافت المشتركون على المجلّة حتّى بات عددهم، سنة ١٩٠٣، أي بعد ستّة أعوام من انطلاقتها، يناهز الخمسمائة. كما أنّ عدد المجلّات التي كانت تحصل عليها للمبادلة، زاد على الأربعة والثلاثين في أوروبّا وأميركا، فضلاً عن مجلّات البلاد الشرقيّة[2].

تُرى ما كان السبب لنجاح المشرق على هذا النحو البارز؟ هو في نظرنا متعدّد الوجوه. أوّلها توسيع اهتمامات المجلّة إلى الكثير من المواضيع. فقد تطرّقتْ، كما بيّنا سالفًا، إلى جميع ما يهمّ المثقّفين في تلك الأيّام وعرفت أن تكون أداةً تساهم في إرساء أُسس النهضة الفكريّة والأدبيّة في الشرق[3].

ثمّ إنّ المجلّة أحسنت التوفيق بين الرصانة العلميّة والتبسيط المعمَّم فراعت الباحثين العلماء وقدّمت للمثقّفين العاديّين ما ينشدونه من معلومات أوّليّة أو عامّة.

وهناك أيضًا استمرار شيخو ثلاثين سنةً دون انقطاع على رأس المؤسّسة، يثبّتها بثباته ويدعمها بما ناله من خبرة متزايدة، وعلم متعدّد الوجوه والاتّجاهات، وقدرة عجيبة على التأليف والتحقيق والبحث والتنقيب، محبِّرًا مئات الصفحات كلّ سنة حتّى كادت المشرق أن تكون بمعظمها من إنتاج هذا العلاّمة الفريد.

إلاّ أنّه لا ينبغي تجاهل مَن ساهم إلى جانب شيخو في تحرير المجلّة. فقد عرف المدير أن يستعين بذوي الكفاية ولم يُعدم، في أيّ من الأعداد، مقالات لكبار المؤلّفين، بعضهم الكثير من إخوانه اليسوعيّين، ولسوف نتوقّف عندهم في مقطع لاحق.

---

(١) «Je suis avec le plus grand plaisir le progrès continuel de votre *Mechriq*, qui est désormais un des centres les plus puissants de culture dans l'Orient arabe».
كميل حشيمه، من رسائل الأدباء والمستشرقين إلى الأب لويس شيخو، في المشرق ٦٤ (١٩٧٠)، ص ٤٣١ ـ ٤٣٢.

(٢) Séb. Ronzevalle, *op. cit.*, p. 133-134.

(٣) أطلب: جورج فايز سلوم، النواحي الفكريّة لمجلّة «المشرق» أيّام الأب لويس شيخو، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، ١٩٨٠.

٣ ـ المرحلة الثانية (١٩٢٨ ـ ١٩٥٠)

توفّي لويس شيخو في ٧ كانون الأوّل سنة ١٩٢٧ بعد أن أنهى تحرير العدد الأخير من سنة المشرق الخامسة والعشرين، وانطوت برحيله مرحلة مميّزة من مسيرة مجلّته. ولئن غاب وجهه عن العيان فقد ظلّت ذكراه وروحه حاضرتَيْن في طيّات الصحيفة مستقبلاً على مرّ السنين.

خلف المؤسّس بين ١٩٢٨ و١٩٥٠، أي في الربع القرن الثاني من حياة المشرق أربعة مديرين يسوعيّين تعاقبوا حينًا وتناوبوا حينًا آخر. وأوّل مَن تسلّم المشعل من شيخو كان المستشرق الأب هنري لامنس، أشرف على إدارة المجلّة من ١٩٢٨ حتّى غاية ١٩٣٣. وتناوب بعده الآباء رينه موترد René Mouterde، عالم الآثار اليونانيّة واللاتينيّة، وروبير شِدياق، وبُول كُورُون Paul Coron مدير المطبعة الكاثوليكيّة. وقد أُتيح لكلٍّ من الأوّلَين أن يتبوّأ الإدارة على دفعتَيْن، في حين أُوكلت المسؤوليّة إلى الراهب الثالث في أواخر زمن الحرب الكونيّة الثانية، إذ صدر من المجلّة أربعة أعداد خاصّة لم تُدخل في الحساب المتسلسل لسِنِي الصحيفة. وكان هؤلاء المديرون، لاسيّما الأجانب منهم، يستعينون بعددٍ من إخوتهم الرهبان أو معاونيهم العلمانيّين المثقّفين، أبرزهم الأديب العلاّمة وتلميذُ شيخو وصديقُه الأستاذ فؤاد أفرام البستانيّ[1].

وممّا تميّزت به المشرق في المرحلة الجديدة أنّها قلّلت من المقالات الجدليّة على نحوٍ ملحوظ حتّى كاد أثرها يزول. ولا غرو، فالأيّام تبدّلت ومعها الذهنيّات، إذ هبّت روح الانفتاح بعد الحرب الكونيّة الأولى فتأثّرت به الطوائف الدينيّة والمدارس الفكريّة والسياسيّة. وتلاشت أيضًا، أو كادت، مقالاتُ التبسيط في المجالات العلميّة لعدم مسّ الحاجة إليها بعد ذلك، فالمدارس كثُرت، والعلوم الأساسيّة انتشرت، والمجلاّت المتخصّصة وفّرت للقرّاء ما كانت مثيلاتُ المشرق تقدّمه لهم. وعلى العكس ازدادت المقالات التي تعالج الشؤون الأدبيّة والتاريخيّة والإسلاميّة، فاتخذت المجلّة تلك سبيل التخصّص. ولوحظ ارتفاع عدد العلمانيّين المساهمين في كتابة المقالات.

(١) ظلّ فؤاد البستاني أمين التحرير طوال المرحلة الثانية التي نحن في صددها. وعاون المدير في مدّة الحرب الخوري لويس خليل المارونيّ.

٤ ـ المرحلة الثالثة (١٩٥١ ـ ١٩٧٠)

عُيِّن الأب إغناطيوس عبده خليفه مديرًا للمجلّة عامَ ١٩٥١ وظلّ في منصبه طوال عشرين سنة، وعلى وجه التحديد طوال تسع عشرة سنة وبعض السنة، حتّى انتخابه مطرانًا نائبًا للبطريرك الماروني عشيّة عيد الفصح من عام ١٩٧٠، فخلفه إذ ذاك الأب كميل حُشَيْمه الذى استمرّ في العمل حتّى توقّفت المجلّة عن الصدور لأسباب قاهرة.

وممّا اتّصفت به المشرق في تلك المرحلة من حياتها أنّها تابعت نشر المقالات التي تهمّ العلماء، فدرست التاريخ الغابر وحقّقت الكثير من المخطوطات القديمة ولكنّها تعدّت ذلك المجال وأولت عنايتها همومَ الساعة وشؤون اليوم. وأفسحت في المجال أمام كتبة ألّفوا مقالاتهم باللغة الفرنسيّة فنُشرت لهم بالأصل دون ترجمة.

٥ ـ اليسوعيّون الذين كتبوا في «المشرق»

ساهم الرهبان اليسوعيّون في رفد «المشرق» بمئات المقالات، ولم يتركوا موضوعًا ممّا يهمّ القرّاء إلاّ عالجوه، سواء في الدينيّات أو الأدبيّات، في الفلسفة أو التاريخ أو الفقه، في الاجتماع أو اللغة أو الآثار أو العلوم الرياضيّة والطبيعيّة على أنواعها. وقد أحصينا أسماء مائة وخمسة عشر منهم، بين شرقيّين ومستشرقين، فضلاً عن الغربيّين الذين نقلت مقالاتهم إلى العربيّة أو أُدرجت في لغتها الأصليّة. وسوف نعرّف في ما يلي بالشرقيّين ونحو نصف المستشرقين، ملمّين بعددٍ قليل من الفئة الثالثة.

آ ـ الكتبة الشرقيّون

ذكرنا الأشخاص بحسب الترتيب الأبجديّ لشهرتهم (أسماء عائلاتهم):

أبيلا (شارل) (١٨٧٦ ـ ١٩٤٦)

إسمه قبل الترهّب «عزيز». وُلد في صيدا من أسرة مالطيّة الأصل، بريطانيّة الجنسيّة. تولّى إدارة الدروس العربيّة في ثانويّة رهبانيّته ببيروت، وتبوّأ

مناصب أخرى في عدد من أديرة اليسوعيّين في لبنان ومصر وسورية. درّس اللاهوت الأدبيّ في جامعة القدّيس يوسف، وأدار جريدة البشير ردحًا من الزمن، وله فيها الكثير من المقالات، أغفل توقيع أغلبها. كما له في المشرق مقالات عديدة مستفيضة معظمها في الجدل وعلم اللاهوت، فضلاً عن تمثيليّة بعنوان ابن وائل صدرت تباعًا في أعداد سنة المجلّة الخامسة (١٩٠١) ثمّ نُشرت على حدة[1].

إدّه (خليل) (١٨٧٠ ـ ١٩٤٢)

وُلد في دمشق من أسرة لبنانيّة أدّت للبلاد خدمات جليلة. كان أبوه «الترجمان الأوّل» في القنصليّة الفرنسيّة، وأخوه إميل رئيسًا للجمهوريّة اللبنانيّة. من المراكز الهامّة التي شغلها إدارة الدروس العربيّة في ثانويّة اليسوعيّين ببيروت (١٩٠٤ ـ ١٩٠٦ و١٩٠٧ ـ ١٩٠٩) والقاهرة (١٩٠٩ ـ ١٩٢٢). برع في التدريس والكتابة حتّى قال فيه تلميذه الأديب الكبير أنطون باشا الجميّل إنّه صاحب الفضل في تنشئه على حبّ الدقّة العلميّة والإتقان في الإنشاء الأدبيّ. من مؤلّفاته: الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض، بيروت، ١٩٣٥، والمسيحيّة والإسلام في جزئيْن، بيروت ١٩٣٩ و١٩٤٢، وإنجيل الأحداث، وتمثيليّة السؤال، والقواعد الجليّة في علم العربيّة ألّفه مع نسيبه الأب جبرائيل إدّه اليسوعيّ. وحرّر لمجلّة المشرق مقالات عديدة تنوّعت مواضيعها بين لغويّة وأدبيّة واجتماعيّة وروحيّة.

إلياس (بولس) (١٩١٣ ـ ١٩٧٢)

من مواليد البساتين قرب بانياس على الساحل السوريّ. كان اسمه قبل الترهّب شوكت. واعظ بليغ وكاتب خصب خلّف عدّة مؤلّفات دينيّة: يسوع المسيح: شخصيّته وتعاليمه، المدعوّون في الكتاب المقدّس، أيّام ابن الإنسان،

(١) من المصادر التي اعتمدناها في تحرير هذه النبذة والنبذ التالية كتابي الأب شيخو: الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر، بيروت، ١٩٢٤ والآداب العربيّة في الربع الأوّل من القرن العشرين، بيروت، ١٩٢٦، ودائرة المعارف لفؤاد افرام البستانيّ في ١٤ مجلّدًا، بيروت، ١٩٥٦ وما يليها، ومجلّة المشرق. ومن المراجع الفرنسيّة نذكر خاصّة كتاب:
Henri Jalabert, *Jésuites au Proche-Orient, Notices biographiques*, Beyrouth, 1937

خلاصة الدين المسيحيّ، على خطى المسيح، ما هي المسيحيّة، أسرار مسبحة الورديّة (كرّاس). ونشر مقالات في بعض المجلاّت إلاّ أنّه لم يخصّ المشرق إلاّ بواحدة عن «روحانيّة الفرض الإلهيّ» ظهرت سنة ١٩٦٥.

أنطُونيوس (جورج) (١٩٤٢)

كتب مقالةً إذ كان طالبًا في الروحانيّة، فعالج موضوع «كتاب عبد الله وأزمة الإنسان المعاصر» لأنطون غطّاس كرم.

تَوْتِل (فرديناند) (١٨٨٧ ـ ١٩٧٧)

أبصر النور في حلب. عُرف بنشاطه الدؤوب لخدمة الفقراء والمظلومين واليتامى والمسجونين. وكان إلى ذلك يصرف السّاعات الطوال في الأبحاث، التاريخيّة منها خاصّةً، فأصدر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين المصوَّر، والتذكار المئويّ لأخويّة الأمّ الحزينة: بيروت، وثائق تاريخيّة عن بيروت، والمتجد في الأدب والعلوم، وأبجديّة الأمّيّ (للسجناء)، ووثائق تاريخيّة عن حلب في ستّة مجلّدات (بدأ ونشرها تباعًا في المشرق). كما أنّه حقّق ونشر في المشرق أيضًا تاريخ الأزمنة للدويهي، وواظب على رفد تلك المجلّة وسواها بعشرات المقالات منذ ١٩٢٠ حتّى ١٩٦٨ وقد جاوز الثمانين.

جباره (إلياس) (١٨٧٢ ـ ١٩٥٥)

وُلد في دمشق من أسرة استقرّت في زحلة بلبنان. أمضى معظم حياته الرهبانيّة في مصر يخدم فيها الفقراء وصغار الكسبة إلى جانب نشاطاته التربويّة كتولّيه إدارة الدروس العربيّة في ثانويّة رهبانيّته بالإسكندريّة (١٩٠٨ ـ ١٩١٩). نشر كتاب صلوات ورياضات وأناشيد بعنوان كنز العابد (١٩٣٠)، وحرّر في المشرق عدداً من المقالات أهمّها واحدة في «ازدهار الديانة الكاثوليكيّة في إنكلترة».

حشيمه (كميل) (١٩٣٣)

لبنانيّ، من بلدة بكفيّا. شغل مناصب إداريّة وتربويّة في لبنان وسورية، ودرّس الترجمة في جامعة حلب ثماني سنوات وهو الآن مدير دار المشرق للنشر.

أصدر عدّة كتب، بعضها موضوع وبعضها منقول، منها: لويس شيخو وكتابه «النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة» (دراسة نقديّة، بالفرنسيّة)، والأب لويس شيخو: ما كتبه وما كُتب عنه، واليسوعيّون والآداب العربيّة في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن العشرين (كتيّب)، وعلماء النصرانيّة في الإسلام ووزراء النصرانيّة وكتّابها في الإسلام، وقد جمعها ممّا خلّفه شيخو بين أوراقه، فحقّقها وزاد عليها. وله أيضًا كتب أخرى أدبيّة ولغويّة ودينيّة، فضلاً عن مقالات في بعض المجلاّت، منها المشرق لمّا تسلّم إدارتها خلفًا للمطران عبده خليفه في ربيع سنة ١٩٧٠.

خَليفه (إغناطيوس عبده) (١٩١٤)

وُلد في بلدة وادي شحرور على مسافة قريبة من العاصمة اللبنانيّة. أمضى ما يربو على العشرين سنة يدرّس العقيدة في كلّيّة اللاهوت ـ جامعة القدّيس يوسف، بيروت ـ وقد شغل فيها مدّة من الزمن منصب العميدة. أدار المشرق من ١٩٥١ حتّى سيامته مطرانًا في الخامس من نيسان ١٩٧٠، وقد دبّج على صفحات المجلّة عشرات المقالات الفكريّة والأدبيّة واللاهوتيّة والاجتماعيّة، ونشر الكثير من المخطوطات وعرّف بمئات الكتب. وطبّع على حدة أهمّ ما نشره في المشرق أو في سواها من المجلاّت، كالقسم الثاني من فهرس مخطوطات المكتبة الشرقيّة، مكمّلاً بذلك ما بدأ به شيخو، وشفاء السائل لتهذيب المسائل لابن خلدون. ونقل إلى العربيّة كتبًا هامّة مثل الوثائق المجمعيّة التي صدرت عن المجمع الفاتيكانيّ الثاني، ونشيد الكون لتيار ده شاردن، ومعجم اللاهوت الكاثوليكيّ للعلاّمة اليسوعيّ كارل راهنر. وظلّ، بعد تولّيه مهامّ الأسقفيّة يؤلّف وينشر[1].

خَليل (يوسف) (١٨٦٨ ـ ١٩٥٥)

إبن كاهن ماروني من ميروبا في قضاء كسروان بلبنان. عُرف بحكمته وحسن إدارته فأمضى ما يربو على الثلاثين سنة في رئاسة بعض أديرة رهبانيّته. ألّف كتيّبًا بعنوان نبذة وجيزة مصوّرة في سيرة القدّيس فرنسيس الأسيزيّ

(١) أطلب المزيد في مقالتنا: أسقف ماروني جديد، المشرق ٦٤ (١٩٧٠)، ص ٢٥٧ ـ ٢٦٢.

(١٩٢٨)، وكتب لمجلّة المشرق، بين ١٩٠٤ و١٩١٤، ثماني مقالات، بعضها تاريخيّ وبعضها تقويّ وبعضها الآخر فكريّ.

ربّاط (أنطون) (١٨٦٧ - ١٩١٣)

أبصر النور في حلب. عُرف بدماثة أخلاقه وسعة معارفه. كاد أن يُنتخب مطرانًا سنة ١٩١٠ ويعيَّن مديرًا لبطريركيّة السريان الكاثوليك، ولكنّه استطاع أن يُبعد عنه ذلك الشرف.

تولّى إدارة جريدة البشير مدّةً من الزمن وإدارة الدروس العربيّة في ثانويّة اليسوعيّين ببيروت بين ١٩٠٣ و١٩٠٧. شغف بتاريخ الكنائس الشرقيّة فجمع مئات الوثائق في ذلك الشأن وطبعها تحت عنوان: وثائق غير منشورة للإسهام في كتابة تاريخ المسيحيّة بالشرق[1]. وكتب لمجلّة المشرق بضع عشرة مقالة، بعضها تاريخيّ وبعضها الآخر دينيّ أو أدبيّ، وقد نشر منها بعد ذلك على حدة: الإنجيل الشريف (١٩١٢)، وعقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن (١٩٢٧)، وتمثيليّة الرشيد والبرامكة (١٩١١) وغيرها يطول ذكرها.

شلْحُت (فيكتور) (١٩٢٥)

سليل أسرة حلبيّة أعطت الكنيسة والعلم عددًا من مشاهير الرجال، كالبطريرك السريانيّ إغناطيوس جرجس (١٨١٨ - ١٨٩١)، والخوري أسقف العلاّمة جرجس (١٨٦٨ - ١٩٢٨) مؤسّس مجلّة الورقاء الجليليّة، والمطران إقليميس جرجس (١٩٢٠ -) صاحب المؤلّفات الكثيرة، ويوسف شكرالله منشئ مجلّة الضاد في حلب سنة ١٩٣١، وسواهم من الأدباء. تبوّأ في الرهبانيّة مناصب إداريّة وتربويّة، وكتب في مواضيع التربية الدينيّة والفلسفة والأدب. ومن مؤلّفاته النزعة الكلاميّة في أسلوب الجاحظ، والإنسان في ضوء المسيح، وقد حقّق ونشر القسطاس المستقيم لأبي حامد الغزالي، وعن هذا الفيلسوف كانت مقالته الوحيدة في المشرق سنة ١٩٥٧.

---

(١) *Documents inédits pour servir à l'histoire du christianisme en Orient*

شَيْخو (لويس) (١٨٥٩ ـ ١٩٢٧)

وُلد بماردين، في جنوب تركيا الحاليّة من عائلة كلدانيّة. ما إن التحق شابًّا بالرهبانيّة اليسوعيّة حتّى انكبّ بكلّ ما أُوتي من زخم على الاهتمام بالعربيّة وآدابها، لا سيّما ما يعود إلى المسيحيّين، فكرّس حياته لهذه الرسالة. أحصينا له من المؤلّفات الكبيرة والمقالات المسهبة ما يربو عدده على الثلثمائة وخمسة وسبعين، بالإضافة إلى ما يعادله من المقالات المتوسّطة الحجم، وإلى ما هو ثلاثة أضعاف ذلك من المقالات الصغيرة والنُبذ الوجيزة[1]. صدر معظم ما دبّجه قلم شيخو على صفحات المشرق، وكان من عادة صاحبه أن ينشر المواضيع ذات الأهميّة مستلسلةً لئلاّ يملّ القرّاء طولها، ثمّ يجمعها عند الفراغ من نشرها فيصدرها كتابًا.

أمّا المرضوعات التي تناولها بالبحث فقد شملت سائر ميادين المعرفة على نحو ما حدّده في افتتاحيّة عدد المجلّة الأوّل: ففي الدينيّات تطرّق إلى الكتاب المقدّس وتفاسيره، وإلى العقائد، ومؤلّفات آباء الكنيسة، والجدل، والطقوس والأعياد، والحقّ الكنسيّ، ومريم العذراء، والمواعظ، والتصوّف، وتراجم القدّيسين والصالحين، وتاريخ الكنائس الشرقيّة والغربيّة. وعلى صعيد العلوم الإنسانيّة كتب في التاريخ والجغرافيا، والسياحات، والعادات، والفلسفة وعلم النفس، والملل والنحل، والحقوق، واللغات عامّة والعربيّة خاصّةً، والآداب لا سيّما العربيّة منها، وتراجم الأدباء، فضلاً عن نشره عشرات المخطوطات القديمة الدفينة. وفي العلوم المضبوطة عالج ما يمتّ إلى الطبّ والصحّة، والحيوان والنبات، والفيزياء والكيمياء وعلم الفلك، والفنون والصنائع والماديات. كما أنّه ألّف الكثير من فهارس المخطوطات وعرّف عن بعض خزائن الكتب. ولفرط ما أفرغ شيخو من جهود في تحرير مجلّته، وبثّ فيها من روحه وقلبه وفكره، فقد أضحى هو والمشرق واحدًا، بحيث إذا ما قيل شيخو ذُكر المشرق، وإذا ما ذُكر المشرق قيل شيخو.

صالحاني (أنطون) (١٨٤٧ ـ ١٩٤١)

دمشقيّ المولد، سريانيّ الطائفة. استطاع على الرغم من تعدّد التزاماته

(١) راجع كتابنا الأب لويس شيخو: ما كتبه وما كُتب عنه، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٩.

الكهنوتيّة أن يخلّف من الآثار الأدبيّة ما استحقّ له شكر العلماء والباحثين. فأهمّ ما صدر له تحقيقُه لديوان الأخطل إذ أتى به على أتمّ ما يكون العمل العلميّ حتّى غدت طبعته المرجع الأوّل لدراسة شعر غياث التغلبيّ. ومن آثاره الأدبيّة أيضًا نشره لكتاب ألف ليلة وليلة في طبعة مهذّبة، ولمختارات مشروحة لكتاب الأغاني أسماها رنّات المثالث والمثاني في روايات الأغاني، ولنقائض جرير والأخطل. وألّف الكثير من الكتيّبات ظهرت أوّلاً في معظمها، مقالاتٍ لمجلّة المشرق، بعضها أخلاقيّ وبعضها عقائديّ وبعضها الآخر أدبيّ. والجدير بالملاحظة أنّ صالحاني ظلّ يتحف المشرق بنفثات قلمه طوال خمس وثلاثين سنة حتّى ناهز التسعين من عمره.

عقيقيّ (جبرائيل) (١٨٨٧ - ١٩٦٨)

من أبناء بلدة كفرذبيان اللبنانيّة. درّس العربيّة في القاهرة بعد سيامته كاهنًا سنة ١٩١١، والتحق بالرهبانيّة اليسوعيّة عام ١٩٢٣. أمضى حياته العمليّة كلّها في مصر يدرّس العربيّة أو يدير دروسها في معاهد اليسوعيّين هناك. عرّب عشرة كتب ونيّف ظَهَر معظمها في سلسلة «منشورات المعهد» بالمعادي، منها: تاريخ الكنيسة، ودرب القداسة، والقدّيس باسيليوس، والقدّيس غريغوريوس النزينزيّ، وإيماننا المسيحيّ، ومارينا المصريّة. وألّف مقالات قليلة في بعض المجلّات، خصّ المشرق منها باثنتين فقط.

غانم (سليمان) (١٨٤٩ - ١٩٤٣)

وُلد في بكاسين من قرى جنوب لبنان، وكان أكبر أبناء البطل أبي سمرا غانم الذي اشتهر بمقارعة إبراهيم باشا عام ١٨٤٠، وفي أثناء أحداث ١٨٤٥ و١٨٦٠. تبوّأ إدارة جريدة البشير من ١٨٨٣ حتّى ١٨٨٤ ـ وبعد انقطاع سنة واحدة، من ١٨٨٥ إلى ١٨٩١. ألّف لمجلّة المشرق سلسلتَيْن من المقالات، الأولى عن أمثال عكّار، والثانية عن المناديات الدمشقيّة في الأشهر الشاميّة (١٩١٠). وقد دفعه إلى كتابة المقالات الأخيرة تعيينه، عام ١٩٠٩، في دير رهبانيّته بدمشق حيث بقي حتّى وافته المنيّة بعد أربعين سنة.

فؤاد (لويس) (١٨٨١ - ؟)

مصريّ، كان مسلمًا فاعتنق المسيحيّة، وانتمى إلى الرهبانيّة اليسوعيّة عام ١٩٠٠. وبعد أربع سنوات من التكوين في أوروبّا عيّن في بلدة غزير حيث درّس العربيّة، ثمّ انتقل إلى مدرسة بيروت حيث درّس العربيّة أيضًا من ١٩٠٦ إلى ١٩٠٩، وترك الرهبانيّة في أواخر تلك السنة.

كتب في المشرق أربع روايات قصيرة هادفة صدرت عام ١٩٠٧ بالعناوين التالية: «ملاك الرحمة» و«سلامة النيّة» و«مثال البرّ» و«زلّة الشبيبة».

قندلا (فرنسيس) (١٨٨٦ - ١٩٦٣)

وُلد في الموصل من أسرة سريانيّة ودُعي قبل الترهّب سليمًا. أشرف على إدارة عدّة مدارس في سورية ولبنان وخلّف كتابيْن أحدهما بعنوان حياة ربّنا يسوع المسيح والثاني بعنوان حياة مريم أمّ يسوع. أمّا المشرق فقد نشر فيها مقالة واحدة عن العروض (سنة ١٩٥٢).

معلوف (لويس) (١٨٦٩ - ١٩٤٦)

من مواليد مدينة زحلة في لبنان. كان في الحادية والعشرين من عمره لمّا عُيّن مديرًا للدروس العربيّة في مدرسة اليسوعيّين بالقاهرة، واستمرّ حتّى ١٨٩٥، ثمّ أوكل إليه رؤساؤه الإشراف على دروس العربيّة التي ينصرف إليها اليسوعيّون المستشرقون فقام بمهمّته مدّة تسعة أعوام. ومن أهمّ ما حقّقه بجدارة إدارته لجريدة البشير بين سنتي ١٩٠٧ و١٩٣٣ دون توقّف إلاّ في أثناء الحرب العالميّة الأولى، فضلاً عن تصنيفه معجمه الشهير المنجد وقد أصدره سنة ١٩٠٨ فتعاقبت طبعاته بتواتر حتّى بلغ اليوم الطبعة الثامنة والعشرين، والتاسعة والعشرون على وشك الصدور، على الرغم من تهافت المزوّرين على طباعته دون ترخيص، لا رادع يردعهم أو وازع يوبّخ ضميرهم.

هذا وقد عرف بدماثة أخلاقه ورجاحة عقله وحسن إدارته وبالغ تقواه، فطالب به أبناء إبرشيّة صُور المَلَكيّة الكاثوليكيّة مطرانًا عليهم وألحّوا، فألحّ بالرفض. ولم تمنعه أشغاله المتراكمة وانصرافه إلى الإرشاد والوعظ [1] من

(١) ألّف في هذا الشأن رياضة روحيّة للكهنة حسب طريقة القدّيس إغناطيوس دي لويولا

تدبيج نيّف وعشر مقالات صدرت له في المشرق ويدور معظمها حول المسائل الفلسفيّة. فمنها: «نظر عقليّ في لزوم الدين»، و«نظر عقلي في الوحي»، و«إمكان المعجزات»، ونشره للرسالة «في وحدانيّة الخالق وتثليث أقانيمه» لإيليّا مطران نصّيين.

منّى (يوسف) (١٨٩١ ـ ١٩٥٩)

أبصر النور في القاهرة لوالدين مصريّين من أصل لبنانيّ، وكان قبل ترهّبه من طائفة الروم الأرثوذكس. أمضى معظم حياته يدرّس العربيّة ويدير شؤون عددٍ من مدارس اليسوعيّين في لبنان (غزير وبكفيّا وزحلة وبيروت) وسورية (حلب وحمص) ومصر (القاهرة).

ألّف كتابًا لتدريس قواعد العربيّة بعنوان مرافق المرافق، ونشر في المشرق مقالتَيْن إحداهما عن مناجاة الأرواح والثانية عن خطّة حديثة لتهذيب الناشئة.

نخلة (رفائيل) (١٨٩٠ ـ ١٩٧٣)

مصريّ قبطيّ من مواليد الإسكندريّة. إلتحق بالرهبانيّة اليسوعيّة بعد أن أنهى درس الحقوق في جامعة باريس. كانت له مقدرة على العمل الدؤوب قلّ نظيرها، فضلاً عن ذاكرة خارقة مكّنته من تعلُّم نحو أربعين لغة. أجاد العربيّة الفصحى كلّ الإجادة وأنشأ بها عشرات المقالات والكتب، إلاّ أنّه آثر في عظاته استعمال اللغة العاميّة باستمرار على الرغم من معارضة الكثيرين له، وخلّف بالفرنسيّة كتابًا في قواعد اللهجة اللبنانيّة السوريّة. من غريب شخصيّته أنّه كان يميل إلى... الغريب المستطرَف والعجيب المستظرَف، فألّف: غرائب اللغة العربيّة (حلب، ١٩٤٥ ـ تعدّدت طبعاته)، وغرائب اللهجة اللبنانيّة السوريّة (بيروت، ١٩٦٢)، وغرائب اللهجة المصريّة (بيروت، ١٩٦٤). كما ألّف في ما هو قريب من الغريب، كمثل أربعة آلاف عربيّة (حلب، ١٩٥٤) وقاموس المترادفات والمتجانسات (بيروت، ١٩٥٧ ـ تعدّدت طبعاته)، وجولة في آداب العالم (بيروت، ١٩٥٧) حيث نقل إلى العربيّة نصوصًا من بضع عشرة لغة، وأربعة آلاف مثل، في أربعة أجزاء (بيروت، ١٩٥٠)، وملاهي

السهرات (٣ أجزاء، ١٩٥٧) طبعه باسم مستعار: خليل كامل. إلى كتب مدرسيّة وأدبيّة ودينيّة (عرّب عددًا منها في سنواته الأخيرة) وعشرات المقالات في عددٍ من المجلاّت لاسيّما مجلّة رسالة قلب يسوع التي أدارها مدّةً طويلة، ومجلّة المشرق. وما نشره في الصحيفة الأخيرة، على مدى نحو نصف قرن، يتوزّع بين الأخبار العلميّة التي تهمّ عامّة المثقّفين والأخبار الدينيّة والنقد الأدبيّ. ولم يشذّ في تلك المقالات عمّا عَهِده في تقصّي غرائب الأمور وعجائبها، فكانت له، على سبيل المثال لا الحصر، مقالات بالعناوين التالية:

«نظرة إلى بعض عجائب قعر المحيط»، «معجزة فلكيّة حديثة»، «عجائب التلفون اللاسلكيّ...»، «اختراع عجيب»، «بعض غرائب القاموس العربيّ»، «غرائب الأفعال الرباعيّة المشتقّة في اللغة العاميّة»... .

نُويّا (بولس) (١٩٢٥ - ١٩٨٠)

عراقيّ، كلدانيّ. لمع نجمه في الاسلاميّات فغدا من كبار العارفين بالتصوّف والمتصوّفين من أمثال ابن عطاء الله وابن عبّاد الرنديّ والحلاّج والنفّريّ، وله في سائر هؤلاء مؤلّفات قيّمة نذكر منها أطروحته بالفرنسيّة تفسير القرآن والمصطلحات الصوفيّة. شغل في معهد الدراسات العليا بباريس كرسيّ أستاذه المستشرق الكبير لويس مَسِّنيون ودرّس في معهد اليسوعيّين للآداب الشرقيّة ببيروت، ونشر في المشرق عددًا من النصوص الصوفيّة المغمورة.

ب - الكتبة المستشرقون

أحصينا بين مَن نُشر لهم مقالات في المشرق نحو خمسين يسوعيًّا مستشرقًا، جميعهم أمضوا قسمًا من حياتهم الرهبانيّة في بلاد المشرق العربيّ. نصفهم، على وجه التقريب، ممّن أتقن العربيّة وبرع فيها، والباقون طار لهم صيت في إحدى اللغات الشرقيّة كالسريانيّة والعبريّة والقبطيّة والحبشيّة والأرمنيّة والتركيّة أو في علم من العلوم التي تُعنى بشؤون شرقنا من آثار ونبات وفلك وجيولوجيا واجتماع وتاريخ. إلاّ أنّ أحدًا منهم لم يؤلّف مقالاته مباشرةً، بل نُقلت كتاباتهم إلى لغتنا. وفي ما يلي تعريف موجز بأبرز هؤلاء العلماء.

أوتفاج (جوزف) Autefage (١٨٣٨ ـ ١٩٠١)

فرنسيّ أتقن اللغات الشرقيّة، منها العربيّة وخاصّةً القبطيّة. كان موسوعةً حيّة، إلاّ أنّه مُقلّ في كتاباته ولم يُنشر له في المشرق سوى مقال واحد (١٢ صفحة) عن «التوراة وجثث الفراعنة المحنّطة في متحف الجيزة».

بلاسّار (جاك) Plassard (١٩١١)

فرنسيّ، دكتور في العلوم، متخصّص في علم الفلك. أدار مدّةً طويلة مرصد اليسوعيّين في بلدة كسارة قرب زحلة (لبنان). له مقالة في المشرق صدرت سنة ١٩٥١ بعنوان: «الخيط الممدود من الأرض إلى السماء».

بلمْبُوا (جوزف) Blampois (١٨٨٢ ـ ١٩٦١)

فرنسيّ، قضى معظم حياته في خدمة الشرق العربيّ لا سيّما لبنان. درّس الكهرباء في كلّية الهندسة التابعة للجامعة اليسوعيّة ببيروت، وألّف للمشرق ثلاث مقالات في ميدان اختصاصه.

بُيوادْبار (أنطوان) Poidebard (١٨٧٨ ـ ١٩٥٥)

درس هذا الراهب الفرنسيّ التركيّة والأرمنيّة وتفانى في خدمة المهجّرين الأرمن. كان مرشدًا روحيًّا للجنود في أثناء الحرب الكونيّة الأولى وانيطت به إلى ذلك مهمّة الكشف من الطائرات عن الآثار المغمورة في الصحراء السوريّة، وكان أوّل من نجح في هذا الميدان. ووضع كتابَيْن بالفرنسيّة حول هذا الموضوع، وكتابًا ثالثًا حول ما اكتشفه بالطريقة نفسها في مرفأي صور وصيدا. وقد خصّ المشرق بمقال من هذا القبيل أسماه «الطيران وعلم الآثار».

بُوڤييه (فردريك) Bouvier (١٨٧١ ـ ١٩١٦)

فرنسيّ. درّس التاريخ وتخصّص في تاريخ الأديان المقارَن. له كتاب بعنوان تاريخ سورية ومقال يتيم في المشرق عنوانه «قدوة الدارسين».

بُوڤيه لاپيار (پول) Bovier-Lapierre (١٨٧٣ - ١٩٥٠)

جاء من فرنسا إلى الشرق وهو في الثانية والثلاثين فدرّس العلوم الطبيعيّة في كليّة الطبّ اليسوعيّة ببيروت، وألّف من وحي اختصاصه عددًا من المقالات لمجلّة المشرق. ثمّ انتقل إلى مصر حيث أمضى نحو ربع قرن قام فيها بحفريّات جعلت منه سيّد علوم ما قبل التاريخ في مصر وفتحت له أبواب الجمعيّات العلميّة فيها.

بُولُومُوا (لويس) Bouloumoy (١٨٥٦ - ١٩٢٦)

فرنسيّ. درّس في كلّيّة الطبّ اليسوعيّة ببيروت علوم النبات والطفيليّات والجراثيم. له كتاب في نبات سورية، ومقالات في المشرق عن الطاعون الدمليّ.

پيترس (پول) Peeters (١٨٧٠ - ١٩٥٠)

بلجيكيّ، عضو في جمعيّة «البُولَنديست» المشهورة. علّامة بحّاثة أمضى في بيروت مدّةً بين ١٩٠٢ و١٩٠٣. أتحف المشرق بثلاث مقالات عن القدّيسين والحياة الرهبانيّة القديمة.

تالون (موريس) Tallon (١٩٠٦ - ١٩٨٢).

فرنسيّ أتقن الأرمنيّة والتركيّة وكان له ضليع باع في علم الآثار. تسلّم إدارة «المكتبة الشرقيّة» ورئاسة تحرير مجلّة Mélanges الصادرة عن جامعة القدّيس يوسف - بيروت - وصنّف كتاب الحروف، وثائق أرمنيّة من القرن الخامس. نشر في المشرق مقالاً واحدًا عام ١٩٧٠ درس فيه «كنيسة لبنانيّة ذات رسوم شهيرة»، هي كنيسة بلدة بحديدات.

تُورْنِيز (فرنسيس) Tournebize (١٨٥٦ - ١٩٢٦)

راهب فرنسيّ، درّس الفلسفة واللاهوت، وتاريخ الكنيسة في جامعة اليسوعيّين ببيروت. ألّف عدّة كتب لاهوتيّة وتاريخيّة، منها واحد في تاريخ أرمينيا السياسيّ والدينيّ، وكان يتقن الأرمنيّة. حرّر في المشرق فصدرت له فيها ستّ مقالات تدور مواضيعها حول تاريخ الكنائس.

جَلابير (هنري) Jalabert (١٩١٤)

من مواليد مرسيليا في جنوب فرنسا. يعمل في لبنان منذ ما يربو على الخمسين سنة، يدرّس التاريخ في معاهد اليسوعيّين وجامعتهم. ألّف عدّة كتب تمتّ إلى اختصاصه، جميعها بالفرنسيّة ومعظمها عن تاريخ رهبانيّته في الشرق الأدنى. حرّر للمشرق مقالاً يتيمًا.

جوليان (ميشال) Jullien (١٨٢٧ - ١٩١١)

وُلد في لِيُون (فرنسا) وتخصّص في العلوم الفيزيائيّة وأنيطت به مسؤوليّات جسام في رهبانيّته فرأس عدّة مدارس ثانويّة في فرنسا ومصر وإقليم مقاطعة ليون مدّة أربع سنوات. أولع بالتاريخ فألّف كتابًا بالفرنسيّة عن أعمال اليسوعيّين في بلاد الشام أسماه الإرساليّة الجديدة في سورية. أتحف المشرق بسبع مقالات تبحث جميعها في تاريخ مصر.

جُوُون (پُول) Joüon (١٨٧١ - ١٩٤٠)

فرنسيّ. درّس العبريّة في «الكلّيّة الشرقيّة» و«المعهد الإكليريكيّ الشرقيّ» بجامعة القدّيس يوسف. نشر عددًا من المقالات في المشرق تطرّق معظمها إلى الآثار في مصر وحمص وحلب وجوارها.

دافِييه (أوغست) Davier (١٨٧٧ - ١٩٦٨)

درس الأرمنيّة والتركيّة وخدم في بيروت وبرّ الأناضول وألّف لمجلّة المشرق سنة ١٩٠٦ مقالاً وحيدًا عن ... «المغرب الأقصى»!

دُوران (ألفرد) Durand (١٨٥٨ - ١٩٢٨)

فرنسيّ، لم يمضِ في الشرق. وعلّ التخصيص في بيروت، إلاّ ثلاث سنوات، ولكنّه ساهم مع الأب لويس شيخو في تأليف كتاب باللاتينيّة لتعلّم قواعد العربيّة بعنوان: Elementa grammaticae arabicae. cum chrestomatia, lexico, variisque notis, Beyrouth, 1896 ـ صنّف في المشرق مقالتَيْن تمتّان إلى الكتاب المقدّس.

رُولان (عِمّانُوئيل) Rolland (١٨٤٩ - ١٩٣٠)

فرنسيّ، أتقن العربيّة. تبوّأ عدّة مناصب في المعاهد والأديار بين لبنان ومصر، وكان من مؤسّسيّ راهبات قلب يسوع القبطيّات. له في المشرق مقالات تنوّعت مواضيعها.

رُونزڤال (سِبَستيان) S. Ronzevalle (١٨٦٥ - ١٩٣٧)

فرنسيّ وُلد في مدينة فيليبُّوبُولي من مدن الإمبراطوريّة العثمانيّة، وكان والده موظّفًا لدى قنصليّة بلاده فيها. درس عند اليسوعيّين في بيروت وانتمى إلى رهبانيّتهم، وبرع في علوم اللاهوت والتاريخ والآثار والكتابات القديمة واللغة العربيّة. وكان من مؤسّسي «الكلّيّة الشرقيّة» ومن أبرز المدرّسين فيها؛ وله أبحاث كثيرة في شتّى مجالات اهتمامه نشر بعضها في مجلّة Mélanges وبعضها في المشرق، مع تركيز ملحوظ على المعابد والطقوس السوريّة والفينيقيّة.

رُونزڤال (لويس) L. Ronzevalle (١٨٧١ - ١٩١٨)

هو أخو الأب سبستيان السابق ذكره. درّس العربيّة في «الكلّيّة الشرقيّة»، وكان من المتمكّنين من اللغة العاميّة ودقائقها. وممّا برع فيه الموسيقى الشرقيّة وقد نشر في المشرق من هذا القبيل الرسالة الشهابيّة في الصناعة الموسيقيّة للدكتور ميخائيل مشاقة. كما حرّر للمجلّة نفسها وعلى مدى ربع قرن الكثير من المقالات اللغويّة والعلميّة والدينيّة والتاريخيّة والاجتماعيّة.

زُمُوفِّن (كُودِفروا) Zumoffen (١٨٤٨ - ١٩٢٨)

سويسريّ. إسمه غُدفُرِيد أو، بحسب الصيغة الفرنسيّة، كُودفروا. أمضى معظم حياته في بيروت يدرّس العلوم في المدرسة الثانويّة وكلّيّة الطبّ. ذرع المناطق اللبنانيّة ذرعًا يدرس مناجمها التاريخيّة وطبقاتها الجيولوجيّة فخلّف في ذلك ثلاثة كتب قيّمة نذكر منها خريطة لبنان الجيولوجيّة. وألّف مقالات ظهرت في المشرق عالجت عددًا من القضايا العلميّة.

شان (ماريوس) Chaine (١٨٧٣ ـ ؟)

فرنسيّ. من مؤلّفاته غراماطيق للغة الحبشيّة. صدر له في المشرق مقالان أحدهما عن «اكتشاف اليسوعيّين للنيل الأزرق».

طوران (اسكندر) Torrend (١٨٥٩ ـ ١٩٤١)

كان هذا الفرنسيّ واعظًا مفوّهًا بالعربيّة، وعلى الرغم من أشغاله الكثيرة في إدارة الأديار التي عمل فيها، فقد أولى المشرق كثيرًا من اهتمامه وأصدر فيها نحو عشرين مقالاً معظمها إن لم يكن جميعها في النبات والحيوان.

غُودار (جوزف) Goudard (١٨٧٣ ـ ١٩٥١)

فرنسيّ الجنسيّة، أمضى في الشرق ثمانية عشر عامًا، بعضها في برّ الأناضول، وبعضها في لبنان. ألّف كتابًا ضخمًا بالفرنسيّة عن العذراء مريم في لبنان ومقالاً للمشرق عن «معبد سيّدة القلعة في بلاد عكّار» (١٩٠٠).

كُوتْش (وِلْهِلْم) Kutsch (١٨٩٥ ـ ١٩٦٦)

ألمانيّ، أمضى في بيروت أحد عشر عامًا حقّق خلالها، بالدقّة المعهودة عند مواطنيه، عددًا من مؤلّفات الفلاسفة العرب كثابت بن قرّة والفارابي. نشر في المشرق، بالاشتراك مع الأب إغناطيوس عبده خليفه، كتاب المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء المتكلّمين، تصنيف الشيخ سيف الدين الآمديّ.

كُولَنْجِت (موريس) Collangettes (١٨٦٠ ـ ١٩٤٣)

فرنسيّ، أمضى نحو نصف قرن يدرّس في كلّيّة الطبّ مادّة الفيزياء الطبّيّة. وكان إلى ذلك متبحّرًا في الموسيقى العربيّة فشارك في عدد من المؤتمرات في هذا الشأن وطلب إليه الملك فؤاد عاهل مصر طليًا رسميًّا سنة ١٩٣٢ أن يؤلّف على جناح السرعة طريقة تمكّن الناشئة المصريّة من الاطّلاع على موسيقى بلادها. إلاّ أنّ أشغاله المتراكمة آنذاك حالت دون تلبيته رغبة المليك، وكان قبل ذلك قد أصدر في المشرق بين ١٨٩٨ و١٩٠٨ نحو عشرين مقالة تمتّ جميعها إلى العلوم والصنائع.

لاتور (اسطفان) Lator (١٩٠٤ - ؟)

إسبانيّ. درّس اللغة العربيّة وآدابها في معهد الدراسات الشرقيّة التابع لجامعة اليسوعيّين في بيروت. من مؤلّفاته كتاب لتدريس العربيّة اللبنانيّة للأجانب، وكتاب بالإيطاليّة، شاركه فيه بعض المستشرقين، عن لقاء المسيحيّة والإسلام. ونقل إلى الإسبانيّة كتاب «أيّها الولد» للغزالي. صدر له في المشرق مقال وحيد حول «تاريخ إسبانية في عهدها الإسلاميّ». - ترك الرهبانيّة اليسوعيّة في ما بعد.

لامنس (هنري) Lammens (١٨٦٢ - ١٩٣٧)

بلجيكيّ، جاءَ فتًى إلى لبنان، وما إن أنهى مرحلة التكوين المألوفة في رهبانيّته حتّى تفرّغ للبحث والتأليف في تاريخ الإسلام والعرب، فألّف عدّة كتب عالج فيها تاريخ الأمويّين والجزيرة العربيّة وسوريّة، إلى جانب دراسة عن الرسول العربيّ وأخرى عن فاطمة ابنته وثالثة عن عقائد الإسلام ومؤسّساته، وسواها كثير. وأصدر في المشرق منذ تأسيسه وعلى مدى نحو أربعين سنة المقالَ تلوَ المقال ممّا يشهد له بالدقّة المتناهية في البحث، والسعة في معرفة المصادر، والجرأة على إبراز الحقائق، بحيث طبّقت شهرته المحافل العلميّة وبات وما زال أحد أعظم المستشرقين في العالم. وقد أشرنا سابقًا إلى أنّه خلف شيخو في إدارة مجلّته وأدار شؤونها من ١٩٢٨ حتّى غاية ١٩٣٣.

لُوجِنيسِل (أندره) Le Génissel (١٨٩٩ - ١٩٩١)

فرنسيّ الجنسيّة. أتقن اللغة العربيّة وآدابها، ثمّ تخصّص في الحقوق ونال فيها شهادة الدكتوراه وعمل في الحقلين التربويّ والاجتماعيّ: فإلى جانب اهتمامه الرعويّ بالشبّان والشابات ألحق خبيرًا بوزارة العمل والشؤون الاجتماعيّة في لبنان فأسّس أوّل نقابة فيه، وساهم في وضع قانون العمل وألّف للطلاّب كتابًا بالفرنسيّة حول التنشئة الاجتماعيّة. أمّا مقالاته في المشرق فبعضها عن الأدب التركيّ وبعضها عن الشؤون الاجتماعيّة والنقابيّة، ونصف هذه المقالات نُقل إلى العربيّة والنصف الآخر صدر سنة ١٩٦٩ بأصله الفرنسيّ.

لُوفنك (كَبْرِيال) Levenq (١٨٦٨ ـ ١٩٣٨)

وُلد في مرسيليا بجنوب فرنسا. برع في التاريخ لا سيّما تاريخ رهبانيّته فألّف في هذا الموضوع الكثير من المقالات فضلاً عن كتيّبَيْن تطرّقا إلى إرساليّة اليسوعيّين في بلاد الشام. وقد مدّ المشرق بنحو خمسة عشر مقالاً في مجال اختصاصه أظهر فيها بالغ الدقّة في التحرّي والسرد.

مالُون (أَلِكْسِي) Mallon (١٨٧٥ ـ ١٩٣٤)

فرنسيّ. أمضى نحو أربعين سنة في خدمة الشرق متنقّلاً بين مصر ولبنان وفلسطين. تخصّص في الشؤون المصريّة على أنواعها، الأثريّة واللغويّة والدينيّة، وألّف غراماطيقًا للغة القبطيّة هو مرجع فريد في نوعه. خصّ المشرق بعدد من المقالات، يربو على العشرة، معظمها، بطبيعة الحال، حول مصر وآثارها والكنيسة القبطيّة وشؤونها وآدابها.

مُوتِرد (بُول) Mouterde (١٨٩٢ ـ ١٩٧٢)

من مواليد مدينة لِيون في فرنسا. أمضى حياته الرهبانيّة كلّها في لبنان يعمل على صُعد كثيرة: فمن اهتمام بالمكتبات، إلى تدريس الكتاب المقدّس واللغات القديمة كاليونانيّة والعبريّة والسريانيّة ـ وله في اللسان الأخير كتاب قواعد ونصوص مختارة ـ، إلى دراسات متبحّرة في نبات سورية ولبنان أسفرت عن كتاب كبير حول نباتات جبل الدروز وكتاب آخر ضخم متعدّد المجلّدات بعنوان الجديد في نباتات لبنان وسورية بات المرجع الأساس في ذلك الباب. إنّ الغريب في أمر هذا الراهب أنّ المشرق لم ينل منه إلاّ ثلاث مقالات لا علاقة لها بأهمّ مجالات اختصاصه.

مُوتِرد (رِينه) Mouterde (١٨٨٠ ـ ١٩٦١)

نسيب الأب بول السابق ذكره. تبوّأ في حياته الرهبانيّة مسؤوليّات أكاديميّة وعلميّة جسيمة فشغل منصب عميد كليّة الحقوق اليسوعيّة في بيروت مدّةً تزيد على ربع القرن، وإدارةَ مجلّة جامعة القدّيس يوسف Mélanges طوال أربعين سنة وله فيها الكثير من المقالات، وإدارة المشرق لمدّة وجيزة بعد تنحّي

الأب لامنس سنة ١٩٣٤. وكان ميدان اختصاصه، حيث طارت له سمعة عالميّة، الآثار والكتابات اليونانيّة واللاتينيّة في سورية ولبنان وله في ذلك الباب مجموع ضخم صدر بخمسة مجلّدات. وقد استفادت المشرق من هذا البحر الزاخر فصدر فيه من قلم رينه موترد عشرون مقالاً ونيّفًا تطرّقت جميعًا إلى تاريخ وآثار وكتابات سورية ولبنان.

«مستشرقون» آخرون

نقف عند هذا الحدّ من التعريف باليسوعيّين «المستشرقين» العاملين في الشرق والماهرين في المشرق. وكان بالإمكان التوسّع لولا خشية الإطالة، إلاّ أنّنا نكتفي قبل طيّ الصفحة بذكر بعض المشاهير بعلمهم أو عملهم ذكرًا عابرًا مع الإشارة إلى سني ولادتهم ووفاتهم وإلى حقل اهتمامهم أو اختصاصهم:

بُونِفِتُور بِرلُوتِي (١٨٥٦ ـ ١٩٣٤) عالم الرياضيّات ومؤسّس مرصد اليسوعيّين في كسارة. كرِيستُوف ده بُونيِل (١٨٨٨ ـ ١٩٤٧) من كبار رؤساء إقليم الشرق الأدنى في رهبانيّته. فرنسوا دُوبِره لاتُور (١٩٠٠ ـ ١٩٧٧) عميد كلّيّة الطبّ في جامعة القدّيس يوسف. جوزف دِيلنسِغر (١٨٦٨ ـ ١٩٢٧) أستاذ الكتاب المقدّس. فليكس سُوانيون (١٨٨٣ ـ ١٩٦١) أستاذ الفلسفة. جان كابلُوس (١٨٨٧ ـ ١٩٧٣) يونانيّ، أستاذ الفلسفة واللاّهوت. بَرتلماوُس كُوجُوي (١٨٩٧ ـ ١٩٨٣) سلوفاكي، عالم بالهزّات الأرضيّة. پيار ده ڤراجيل (١٨٧٥ ـ ١٩٧٠) الأستاذ في كلّيّة الطبّ. پيار مازاس (١٩٠٧ ـ ١٩١٤) عميد كلّيّة الحقوق في الجامعة اليسوعيّة ببيروت.

يُضاف إلى هؤلاء بعض من نُشرت مقالاته في أصله الفرنسيّ كالآباء فِرنان ده لانفِرسان (١٨٨٠ ـ ١٩٦٨) عميد كلّيّة اللاهوت، وجان مِعِيريان (١٨٨٨ ـ ١٩٦٥) الأرمنيّ العلاّمة في شؤون قومه وكنيسته، وكارلوس شَدّ (١٩١٤ ـ ١٩٧٢) الأرمنيّ الأصل وأستاذ التاريخ القديم.

ج ـ الكتبة الغربيّون

صدرت في المشرق مقالات لعدد كبير من اليسوعيّين الغربيّين الذين لم يكن لهم بالشرق العربيّ وثيقُ علاقة، وقد أحصينا منهم ما يزيد قليلاً على

الأربعين. والمواضيع التي طرقوها تمتّ إلى مختلف ميادين العلوم الدينيّة والدنيويّة. ومن أشهرهم الآباء جوزف بُونيرفان العالم في الكتاب المقدّس، وجان دانيالُو الكردينال اللاهوتيّ صاحب المؤلّفات الكثيرة عن آباء الكنيسة الشرقيّة، وكاسْتُون ساله اللاهوتيّ، وفرنسيس شارمُو المربّي والمعلّم الروحانيّ. هؤلاء وغيرهم ساهموا مساهمة مباشرة أو غير مباشرة وفي أغلب الأحيان بمقالٍ يتيم عابر أو مقالَيْن فقط.

الخاتمة

بقيت المشرق على قيد الحياة من ١٨٩٨ حتّى نهاية ١٩٧٠، اثنين وسبعين حولاً، فلم تتوقّف مسيرتها إلاّ في أثناء سنوات معدودة غشيتها الحروب وناءت بكلكلها على كلّ ذي نسمة فأودت به.

أربع وستّون مجلّدًا صدرت في تلك الحقبة، فجمعت في طيّاتها كنوزًا من الأبحاث، وثروات من المعارف، أضحت المشرق بفضلها موسوعةً لا يستغني عنها كلّ من أراد التعمّق في شؤون الشرق، لا سيّما الغربيّ منه. ولم تترك المجلّة بابًا من أبواب العلم والثقافة والفكر إلاّ ولجته كما تأكّد لنا ذلك من النُبَذ السابقة. وكان رائدها دومًا الجدّيّة في اقتناء المواضيع، والرصانة العلميّة في معالجتها، والسعي وراء الحقيقة. وقد أدّى تحرّي الحقيقة هذا، في كثير من الأحيان، إلى تشنّج في الجدل وتشدّد في الأحكام، أقلّه أيّامَ شيخوخ إذ كان رجل عصره، عصرٍ لم تهبّ من خلال نوافذه رياح الانفتاح والتسامح على نحو ما حصل في السنين اللاحقة. وفي الواقع سرعان ما تلاشى مع الأيّام أثر التزمّت وفَهِم أولياءُ المجلّة أنّه وإن يكن شعارها «تعرفون الحقّ والحقّ يحرّركم»، فالحقيقة لا تحرّر إلاّ بقدر ما تستند إلى الثقة أمّ الانفتاح ووليدة المحبّة.

ولنا شاهد على رحابة صدر المشرق واحترامها العميق للجميع، على رغم المظاهر الخدّاعة أو الهفوات العابرة، كثرة كتّابها من غير اليسوعيّين وتنوّع مشاربهم ومذاهبهم ومللهم، وكلّهم يحترم المجلّة ويوليه ثقته. والجدير بالذكر أنّ أغلب المؤلّفين والباحثين كانوا ممّن طال باعهم وطار صيتهم في ميادين

اختصاصاتهم واهتماماتهم. ونورد هنا أسماء بعضهم، على سبيل المثال لا الحصر:

فمن الكهنة والرهبان غير اليسوعيّين: إسحٰق أرملة، أنستاس ماري الكرمليّ، قسطنطين الباشا، رفائيل البستانيّ، لويس بليبل، مبارك ثابت، فريد جبر، ميشال حايك، إبراهيم حرفوش، مخايل الرجّي، بطرس ساره، بولس سلمان، كيرلّس شارون، أنطونيوس شبلي، أنطوان ضوّ، يوسف العلّم، يوسف علوان، منصور عوّاد، بطرس غالب، مارون غصن، نيقولاوس قادري، بولس قرألي، نعمةالله الكفري، أوغسطين مرمرجي، بولس مسعد، جرجس منش.

ومن العلمانيّين: محمود شكري الآلوسي، الأمير شكيب أرسلان، فؤاد أفرام البستانيّ، عارف تامر، الشيخ أحمد تقيّ الدين، جبرائيل جبّور، لحد خاطر، الشيخ سليم الدحداح، حبيب الزيّات، رشيد وسعيد الشرتونيّ، الأمير موريس شهاب، محمّد أسعد طلس، ظافر القاسميّ، المستشرق إغناطيوس كراتشكوفسكي، صلاح لبكي، رياض وعيسى المعلوف، صلاح الدين المنجّد، المستشرق مرتين هَرْمَن، عثمان يحيى، يوسف إبراهيم يزبك.

إثنان وسبعون عامًا مرّت على المشرق وهي تخدم المشرق الخدمةَ الحقّ، ولئن توقّفت عن الصدور مرغمةً فلأسباب قاهرة زالت اليوم بإذن الله. والمجلّة تتمطّى اليوم نحو الأمام وتستعدّ لوثبة جديدة في رحاب مستقبل ترجوه زاهرًا مثمرًا بعونه تعالى.